السنة الثانية ليسانس دراسات لغوية.

الأفواج 4-5-6

الأسلوبية الإحصائية

1- الأسلوبية الإحصائية:

مما لاشك فيه أن المنهج الإحصائي أصبح صاحب اليد في مجال الأسلوبيات بعدّه نموذجا للدقة العلمية التي لا تترك مجالا لذاتية الناقد كي تنفذ إلى العمل الأدبي. فالباحث الأسلوبي يرجو دائما الوصول إلى الموضوعية الكاملة التي تسمح له بمواجهة أي نص إبداعي دون خوف من إسقاط ذاتيته عليه، أو إلقاء أحكام مسبقة بالحسن والقبح ، إنه يريد تحليل النص بذاته ولذاته، لا لغاية نفسية أو إيديولوجية تتحكم في الناقد والنقد معا، لذلك كان البعد الإحصائي في دراسة الأسلوب هو من المعايير الموضوعية الأساسية التي يمكن باستخدامها تشخيص الأساليب و تمييز الفروق بينها.

وعمل التحليل الإحصائي يهدف إلى « تمييز السمات اللغوية، وذلك بإظهار معدلات تكرارها ونسب هذا التكرارات، ولهذه الطريقة في التحليل أهمية خاصة في تشخيص الاستخدام اللغوي عند المبدع. وهذا ما أوضحه سعد مصلوح عند تمييزه بين ما يتضمنه النص من انحراف متفرد في الاستعمال والشطط الذي لا متعة فيه، وبيان ذلك أنه ليس كل انحراف جدير بأن يعد خاصية أسلوبية هامة، بل لابد لذلك من انتظام الانحراف في علاقاته بالسياق»، وتمييز السمات اللغوية البارزة أو الانحراف الأسلوبي، ينطلقان أساسا من عملية الإنتاج الإبداعي التي تقوم على الاختيار والتأليف، والانحراف والمعيار.

تقوم العملية الإحصائية للأسلوب على الخطوات الآتية:

أ- تحديد المتغير الأسلوبي:

هي مجموعة السمات اللغوية التي يعمل فيها المنشيء «بالاختيار أو الاستبعاد وبالتكثيف وباتباع طرق مختلفة في التوزيع ليشكل بها النص، وحينئذ تصبح المتغيرات الأسلوبية مميزة ، وتنقسم إلى متغيرات شكلية وصوتية وصرفية وتركيبية ودلالية ومتغيرات ما فوق الجملة (النبر والتنغيم)

ب . التشخيص الأسلوبي:

هو نشاط تحليلي يقوم به الباحث هدفه الكشف عن الهوية الأسلوبية للنص من خلال الكشف عن المؤشرات الأسلوبية التي هي العناصر اللغوية المشروطة بسياق النصوص ، أما العناصر الأخرى التي لا تقوم بدور المؤشرات فهي محايدة و لا دلالة لها . و هذه المؤشرات الأسلوبية هي عملية اختيار لعناصر لغوية معينة وتوظيفها لإحداث تأثير خاص هو التأثير الأسلوبي.

فالعملية الإحصائية هي إحدى الوسائل الأسلوبية المعاصرة التي استغلها الدارسون لفك مغاليق النص وذلك بالاعتماد على الوسائل العلمية تمكن الباحث من تفكيك النص إلى أجزائه المكونة له ثم إعادة بنائه وفق المنظور الإحصائي الذي يكشف عن الظواهر الأسلوبية والسمات البارزة في النص، والتي يمكن تأويلها عبر إعادة بناء الجزئيات لتكوين نص نقدي يوازي في أدبيته النص الإبداعي.

وللوصول إلى هذا الهدف لابد من تحديد مقاييس علمية لهذا الإحصاء والكشف عن مدى هذا التوظيف وأبعاده يقتضي من الباحث استخدام مقاييس دقيقة ،هذه المقاييس هي من إمدادات العلوم الرياضية التي أفادت النقد الأسلوبي، وأعانته بأدوات إجرائية أهمها: قياس كثافة المتغير الأسلوبي و مثاله قياس كثافة نوع من أنواع الجمل (الاسمي / الفعلي/ السيط المركب / المعقد الإنشائي الخبري) بقسمة عدد الجمل المراد قياسها على مجموع عدد الجمل المكونة للنص.

2 قياس البنية بين متغيرين أسلوبيين:

وذلك بقسمة تكرارات أحدهما على تكرارات الآخر، كقياس نسبة الأفعال إلى الصفات مثلا.

3. قياس النزعة المركزية للمتغيرات:

وبها نميز منشئا أو مبدعا من خلال استخدام ما، ويعني ذلك نزعة مركزية عالية إلى استعمال نوع معين في النص (كلمات – جمل.

4– مقياس تشتت بيانات المتغيرات: ويتم بين النصوص المتشابهة إذ يتم التفريق بينها بهذا المعيار عبر درجة انتشار البيانات الرقمية في النصوص المحللة إحصائيا وهذا سيكشف عن اختلافات لا تظهر إلا عبر عملية الإحصاء.

5– قياس التوزيع الاحتمالي للمتغيرات:

يقصد به قياس تكرارات متغير أسلوبي ما في أجزاء النص الواحد . ومن الدارسين العرب الذين اعتمدوا الإحصاء الكمي منهجا نقديا مُحَمَّد العمري الذي يقول » :يعتبر الكم في حد ذاته عاملا من عوامل البروز والظهور فالمواد التي تتكاتف بشكل غير عادي بالنسبة لمستعمل اللغة كفيلة بإثارة الانتباه بكميتها.

كما قام إبراهيم أنيس بإحصاء أصوات عشرات من صفحات القرآن ثم حصر نسبة شيوع الأصوات كما أحصى محور الشعر التي استعملها الكثير من شعراء العرب وخرج بنتائج، ومن المؤيدين لهذا المنهج مرتاض الذي يقول: « إن المنهج الإحصائي لا يخلو من مغالطة منهجية حين يعمد إلى جملة من الألفاظ التي يصطنعها كاتب من الكتاب مثلا، مجردة عن سياقها الدلالي، فيحصيها عددا في نص ما ثم يبني على ضوء العدد الذي يتوصل إليه حكما نقديا وإنا لنعلم أن اللغة ليست ألفاظا جوفاء ولا طائرة في الهواء عبثا ولا شاردة في الفضاء سدى، وإنما هي سياق وتراكيب وانزياح وتوتر» . ولكنه يؤيد

هذا المنهج الذي يعده ضروريا في جملة من المواقف للكشف أسلوبيا عن لغة المؤلف أي معجمه الفني واستنصاص هذا المعجم، كما يعد الإحصاء في نظره جديرا بالكشف عن درجة القدرة اللغوية للكاتب الذي ندارس أدبه.

ويؤيد هذا المنهج أيضا جون كوهين إذ يقول : « يتأكد لقاء هام بين الأسلوبية والإحصاء. ولكون الأسلوبية الانزياحات اللغوية والإحصاء علم الانزياحات العامة فمن الجائز تطبيق نتائج الإحصاء على الأسلوبية لتصبح الواقعة الشعرية وقتها قابلة للقياس إذ يمكن اعتمادا على القياس الكمي لتحديد شاعرية نص ما بالنظر إلى النصوص الأخرى، وتعتمد هذه الدراسة الأسلوبية عنده على خطوتين هامتين:

إحداهما تبيين خصائص الظاهرة **والثانية** قياسها والإحصاء لا يجب أن يكون غاية في حد ذاته فالمشكلة الحقيقية للأسلوب ذات طابع كيفي وليس كميا" . أي أن التحليل الأسلوبي يمر عبر الإحصاء، كنعصر إجرائي فقط للوصول إلى أسلوب النص الابداعي

والمنهج الأسلوبي يتطلب الدقة في التحليل وفي العملية الإحصائية والكشف عن الكيفية التي عبر بها صاحب النص والتي تتشابه أو تختلف مع نصوص أخرى، ويتطلب التركيز الجيد حتى لا يقع الباحث في الخطأ الذي ينأى بالنص عن مدلولاته الحقيقية ويخرج به عن سياقه النصي ويوقعه ضحية للأرقام والجداول التي تنزع منه الروح الإبداعية.